القافية

القافية

تعريفها لغة

القافية لغة على وزن فاعلة، من القَفْو وهو الاتباع؛ وإنما قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وسُمي المعنى المراد هنا بذلك؛ لأن الشاعر يقفوه أي يتبعه، فالقافية على هذا بمعنى مقفوة مثل قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} أي مرضية، وقيل: لأنه يقفو ما سبق من الأبيات، أو لأنه يقفو آخر كل بيت .

تعريفها اصطلاحا

القافية في اصطلاح العروضيين عِلمٌ بأصول يُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وهي مع هذا اسم لعدد من الحروف ينتهي بها كل بيت.

حدودها

وأما حدودها فقد تعددت الآراء في ذلك، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول: «القافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفا كان أو أكثر، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول». مثال ذلك قول الشاعر:

نَعيب زمانَنا والعيبُ فينا ⇧⇧⇧ وما لزماننا عيب سوانا

فالقافية عند الخليل في هذا البيت هي قول الشاعر: (وَأنَا) = /5/5. وهي باختصار من أول متحرك قبل آخر ساكنين.

صورها

بناءً على رأي الخليل فإن القافية ليست محددة بعدد من الكلمات. فقد تكون القافية بعض كلمة، كقول كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ ⇧⇧⇧ متيم إثرها لم يفد مَكْبُوْل

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (بُوْلُوْ = /5/5) من (مَكْبُوْلُ) وهي جزءٌ من كلمة. وقد تكون كلمة تامة، كقول المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ⇧⇧⇧ فهي الشهادة ليْ بأنيَ كَامِلُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (كَامِلُوْ = /5//5) وهي كلمة تامة. وقد تكون القافية كلمة وبعض كلمة، كقول المتنبي:

إن كان سرَّكمُ ما قال حاسدنا ⇧⇧⇧ فما لجرح إذا أرضاكمُ أَلَمُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (مُوْ أَلَمُوْ = /5///5) وهي كلمة وجزء من كلمة. وقد تكون القافية ثلاث كلمات، كقول أبي العتاهية:

حُلْمُ الفتى مما يُزَيّنهُ ⇧⇧⇧ وتمام حلية فَضْلِهِ أَدَبُهْ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (هِيْ أَدَبُهْ = /5///5)، وهي ثلاث كلمات: الضمير (ـهِ) من قوله: (فضله)، وكلمة (أدبُ)، والضمير (ـهْ) من قوله: (أدبُهْ).

فائدة دراسة هذا الفن

- الوقوف على مواطن حسن الشعر وجودته وكيفية تأليفه.

- يُجَنِّبُ المرءَ العيوبَ المخلة بالشعر فلا يقع فيها من يريد إنشاء قول منظوم.
- لا غنى للناقد عنه؛ حتى يبني أحكامه على أسس صحيحة.

أهمية القافية

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الكلام شعرًا حتى يكون له وزن وقافية؛ فهما أساسان في الشعر حسب نظرية عمود الشعر عند المرزوقي. فالقافية تعطي الشعر نغمة موسيقية رائعة، فبقدر ما يكون فيها من حروف ملتزمة بقدر ما يكون لها من إيقاع موسيقي متميز، كما أنها تضبط المعنى وتحدده، وتشد البيت شدا قويا بكيان القصيدة العام ولولاها لكانت محلولة مفككة.

حروف القافية

حروف القافية ستة لابد من وجود بعضها ضمن القافية على تعريفها السابق، ولا يعني ذلك أنه يجب أن تجتمع كلها في قافية واحدة، وما دخل منها أول القصيدة وجب التزامه. وحروف القافية ستة هي: الرَّوِيّ، الْوَصْل، الْخُرُوْج، الرِّدْف، الدَّخِيْل، التَّأْسِيْس.

الرَّوِيّ

هو الحرف الذي يختاره الشاعر من الحروف الصالحة، فيبني عليه قصيدته، ويلتزمه في جميع أبياتها، وإليه تنسب القصيدة؛ فيقال: قصيدة همزية إن كانت الهمزة هي الرَّوِيّ كهمزية شوقي، أو لامية إن كانت اللام هي الرَّوِيّ كلامية العرب ... . وسمي رويا؛ لأن أصل (رَوَى) في كلام العرب للجمع والاتصال والضمّ، ومنه الرِّوَاء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والمتاع ليضمها، وكذلك حرف الرَّوِيّ ينضم ويجتمع إليه جميع حروف البيت؛ فلذلك سمي رويا.

حروف الهجاء بالنسبة للروي ثلاثة أقسام:

- ما يجب أن يكون رويا.
- ما يصلح أن يكون رويا أو وصلا.
- ما لا يصلح أن يكون رويا.

ما يجب أن يكون رويا

الحروف التي يجب أن تكون رويا إذا وقعت في القافية أربعة هي:

(1) الهاء إذا سكن ما قبلها سواء أكانت أصلية أم زائدة، مثل:

وتجتنب الأسودُ ورودَ ماءٍ ⇧⇧⇧ إذا كُنَّ الكلابُ وَلَغْنَ فيه
ويرتجع الكريم خميصَ بطنٍ ⇧⇧⇧ ولا يرضى مساهمة السَّفِيْهِ

فالهاء في البيتين هي الروي، وهي في (فيه) زائدة، وفي (السفيه) أصلية، وكلاهما ساكن ما قبله.

(2) الواو في موضعين:

- إذا كانت ساكنة مفتوحا ما قبلها، مثل: ذهب الكرام بأسرهم ⇧⇧⇧ وبقي لنا لَيْتٌ ولَوْ
- إذا سكن ما قبلها وهي أصلية، مثل: عَرُضَ البحرُ وهو ماءٌ أجاجٌ ⇧⇧⇧ وقليلُ المياهِ تلقاهُ حُلْوَا

(3) الياء في موضعين:

- إذا كانت أصلية متحركة، مثل: عداتي لهم فضل عليَّ ومنَّةٌ ⇧⇧⇧ فلا أبعد الرحمنُ عني الأعاديا
- الياء المشددة، مثل: لا تَتْبَعَنْ كلَّ دخان ترى ⇧⇧⇧ فالنار قد توقد لِلْكَيِّ

(4) الكاف إذا كانت أصلية واقعة بعد ساكن، مثل: هي الدنيا تقول بملءِ فيها ⇧⇧⇧ حذار حذار من بطشيْ وَفَتْكِيْ

ما يصلح أن يكون رويا أو وصلا

هناك أحرف تصلح أن تكون وصلا أو رويا بقيود، فالشاعر بين أمرين: إما أن يلتزم حرفا قبلها فيكون هو الروي وتكون هي وصلا، وإما ألا يلتزم حرفا قبلها فتكون هي الروي وفيما يلي تفصيل ذلك:

(1) الألف المقصورة والزائدة للتأنيث أو الإلحاق:

- مثال الألف المقصورة: الجوى، الهوى.
- مثال الألف التي للتأنيث: حبلى، فضلى.
- مثال الألف التي للإلحاق: علقى، أرطى.

(2) الواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها:

- مثالها: يعلو، يحلو.

(3) الياء الأصلية الساكنة المكسور ما قبلها:

- مثالها: ينقضي، يرتضي.

(4) تاء التأنيث ساكنة كانت أم متحركة:

- مثال الساكنة: انتهَتْ، اشتَهَتْ.
- مثال المتحركة: رؤْيَتِيْ، صبْيَتِيْ.

(5) الهاء الأصلية المحرك ما قبلها:

- مثالها: شَرَهَ، كرهَ.

(6) كاف الخطاب إذا تحرك ما قبلها، أو سكن ولم يكن حرف مد:

- مثال ما تحرك قبلها: مَعَكْ، أطْلَعَكْ.
- مثال ما سكن قبلها: عَنْكِ، مِنْكِ.

(7) الميم إذا وقعت بعد الكاف أو الهاء:

- مثال وقوعها بعد الكاف: مِنْكُمْ، عَنْكُمْ.
- مثال وقوعها بعد الهاء: مِنْهُمْ، عَنْهُمْ.

ما لا يصلح أن يكون رويا

(1) الألف في ستة أحوال هي:

- إذا كانت للإطلاق، مثل: ونكرم ضيفنا مادام فينا ⇧⇧⇧ ونتبعه الكرامة حيث مالا
- إذا كانت ضميرًا للتثنية، مثل: لا أقول اسكنا في هذه الدا ⇧⇧⇧ ر غرورًا ولا أقول استعدا
- إذا كانت بيانا لحركة البناء، مثل: فقالت: صدقت ولكنَّنِي ⇧⇧⇧ أردتُ أعرّفها مَنْ أَنَا
- إذا كانت لاحقة لضمير الغائبة، مثل: قف بتلك الرمال وانظرْ سناها ⇧⇧⇧ يتجلَّى الجمالُ فوق رُباها
- إذا كانت بدلا من تنوين النصب، مثل: قم للمعلم وفِّهِ التبجيلا ⇧⇧⇧ كاد المعلم أن يكون رسولا
- إذا كانت منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة في حالة الوقف، مثل: وقولا له: والله ما الماء للصدي ⇧⇧⇧ بأشهى إلينا من لقائِكَ فاعْلَمَا

(2) الواو في ثلاثة أحوال:

- إذا كانت للإطلاق، مثل الواو من (السلامُوْ) في قول الشاعر: سلام الله يا مطر عليها ⇧⇧⇧ وليس عليك يا مطر السلامُ
- إذا كانت ضمير جمع وقد ضم ما قبلها، مثل: وليت للناس حظا من وجوههمُ ⇧⇧⇧ تَبِيْنُ أخلاقُهمْ فيه إذا اجتمعُوْا
- إذا كانت لاحقة للضمير، مثل: إذا ترحَّلْتَ عن قوم وقد قدروا ⇧⇧⇧ ألا تفارقَهمْ فالراحلون همُوْ

(3) الياء في خمسة أحوال هي:

- إذا كانت للإطلاق وتسمى ياء الترنم، مثل الياء من (فارحلِيْ) في قول الشاعر: حكِّمْ سيوفك في رقاب العذَّلِ ⇧⇧⇧ وإذا نزلتَ بدار ذُلٍّ فارحلِ
- إذا كانت ياء ضمير المتكلم (ياء الإضافة)، مثل: أقول وقد ناحت بقربي حمامة ⇧⇧⇧ أيا جارتا لو تشعرين بحالِيْ
- إذا كانت لاحقة لضمير مكسور، مثل الياء من (تسْتَوْفِيْهِيْ) في قول الشاعر: أيها الدائب الحريصُ المعنَّى ⇧⇧⇧ لك رزقٌ وسوف تستوفِيْهِ
- إذا كانت للمخاطبة، مكسورًا ما قبلها، مثل: أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ⇧⇧⇧ تعاليْ أقاسمكِ الهمومَ تعالِيْ
- أن تكون من بنية الكلمة، مثل: كُفِّيْ دعاباتِ الجنونِ فما بقي ⇧⇧⇧ لهواكِ معنًى يرتجيه ويتَّقِيْ

(4) الهاء في أربعة أحوال هي:

- أن تكون للسكت، مثل: لأبكينَّ لفقدانِ الشبابِ وقدْ ⇧⇧⇧ نادى المشيبُ عن الدنيا بِرِحْلَتِيَهْ
- هاء الضمير الغائب الساكنة المحرك ما قبلها، مثل: إرضَ من الله يوما ما أتاك ⇧⇧⇧ مَنْ يرضَ يوما بعيشهِ نفَعَهْ
- هاء الضمير المتحركة، مثل: ضعفتْ فحجتُها البكاءُ لخصمِها ⇧⇧⇧ وسلاحُها عندَ الدفاع دموعُهَا
- الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث، مثل: إنما الدنيا هباتٌ ⇧⇧⇧ وعوارٍ مُسْتَرَدَّهْ

(5) النون إذا كانت عوضا عن التنوين الذي يلحق القوافي المطلقة بدلا من حرف الإطلاق، مثل: أقلِّي اللوم – عاذلء والعتابا ⇧⇧⇧ وقولي – إن أصبتُ ء لقد أصابنْ

الْوَصْل

سمي الْوَصْل بهذا الاسم لوصله بالرَّوِيّ ومجيئه بعده مباشرة، وحروف الْوَصْل هي الألف والواو والياء، سواء أكانت هذه الأحرف للإشباع أو لغيره مما سبق ذكره مما لا يصلح أن يكون رويا، أو هاء متحركة أو ساكنة تلي الرَّوِيّ مما لا يصلح أن يكون رويا:

- مثال الألف قول الشاعر: وما نيل المطالب بالتمني ⇧⇧⇧ ولكن تؤخذ الدنيا غلابَا
- ومثال الياء (شمسِيْ) من قول الشاعر: يذكرني طلوعُ الشمس صخرًا ⇧⇧⇧ وأذكرُه لكلِّ طلوع شمس
- ومثال الواو (الْمَكَارُمُوْ) من قول الشاعر: على قدر أهل العزم تأتيْ العزائمُ ⇧⇧⇧ وتأتيْ على قدر الكرامِ المكَارُمُ
- ومثال الهاء الساكنة قول الشاعر: ولو لم يكنْ في كفه غيرُ روحِه ⇧⇧⇧ لجادَ بها فليتقِ اللهَ سائِلُهْ
- ومثال الهاء المتحركة قول الشاعر: إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلا ⇧⇧⇧ فأرسلْ حكيمًا ولا توصِهِ

الْخُرُوْج

سمي بهذا الاسم لخروجه وتجاوزه الْوَصْل التابع للروي، فهو موضع الْخُرُوْج من بيت القصيدة حيث لا يأتي بعده حرف، والْخُرُوْج يكون بالألف أو بالواو أو بالياء يتبعنَ هاء الْوَصْل.

- مثال الألف قول الشاعر: يمشي الفقير وكل شيء ضده ⇧⇧⇧ والناس تغلق خلفه أبوابَهَا
- ومثال الياء (مالِهِيْ) من قول الشاعر: وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعةً ⇧⇧⇧ من جاهِهِ فكأنها مِنْ مالِهِ
- ومثال الواو (يَنْفَعُهُوْ) من قول الشاعر: جاوزتِ في لومه حدًّا أَضَرَّ بهِ ⇧⇧⇧ من حيثُ قدرتِ أنَّ اللومَ يَنْفَعُهُ

الرِّدْف

وهو مأخوذ من ردف الراكب؛ لأن الرَّوِيّ أصل فهو الراكب وهذا كردفه، والردف هو ما يقع قبل الروي مباشرة من غير فاصل، ويكون من حروف المد الثلاثة، وحروف اللين وهي الواو والياء الساكنتان بعد حركة غير مجانسة لهما، والألف تعتبر

أصلا. ويجوز في الياء والواو أن يتعاقبا في القصيدة الواحدة، ويجوز أن يكون الرِّدْف والرَّوِيّ من كلمة واحدة أو كلمتين، ولا تعتبر الياء أو الواو المحركتين أو المشددتين ردفاً:

- مثال للردف بالألف: كأن قطاةً عُلقتْ بجناحها ⇧⇧⇧ على كبديْ من شدةِ الخفَقَانِ
- مثال للردف بالواو: تأنَّ ولا تعجل بلومكَ صاحبًا ⇧⇧⇧ لعل له عذرًا وأنت تلومُ
- مثال للردف بالياء: لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلَه ⇧⇧⇧ عارٌ عليك إذا فعلت عظيْمُ
- مثال المعاقبة بين الواو والياء إذا كانا مدين:

1. كمْ عالمٍ عالمٍ أعيتْ مذاهِبُه ⇧⇧⇧ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوْقَا
2. هذا الذي جعل الأفهامَ حائرةً ⇧⇧⇧ وصيَّر العالم النحريرَ زِنْدِيْقَا

- مثال للمعاقبة بين الواو والياء إذا كانا حرفي لين:

1. يا أيها الخارجُ من بيتهِ ⇧⇧⇧ وهاربًـًـا من شدةِ الخَوْفِ
2. ضيفُكَ قدْ جاءَ بزادٍ لهُ ⇧⇧⇧ فارجعْ وكنْ ضيفاً على الضَّيْفِ

التَّأْسِيْس

والتَّأْسِيْس لا يكون إلا بالألف قبل حرف الرَّوِيّ بحرف واحد، فالتَّأْسِيْس إذًا حرفُ ألفٍ بينها وبين حرف الرَّوِيّ حرف واحد صحيح، وهذا الحرف الصحيح الذي يفصل بين ألف التَّأْسِيْس وحرف الرَّوِيّ يسمى (الدَّخِيْل) وهما متلازمان فسميت الألف تأسيسا لأنه يُحَافَظُ عليها في قافية القصيدة كأنها أسٌّ للقافية، وقيل: لأنها تقدمت على جميع حروف القافية. ويجوز أن تكون ألف التَّأْسِيْس والدَّخِيْل في كلمة واحدة أو كلمتين، مثال ألف التَّأْسِيْس:

على قدر أهلِ العزمِ تأتيْ العزائمُ ⇧⇧⇧ وتأتيْ على قدر الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عين الصغيرِ صغارُها ⇧⇧⇧ وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

الدَّخِيْل

وهو حرف متحرك يقع بين ألف التَّأْسِيْس والرَّوِيّ، وسمي دخيلا لأنه دخيل في القافية؛ وذلك لوقوعه بين حرفين – الرَّوِيّ والتَّأْسِيْس – خاضعين لمجموعة من الشروط في حين لا يخضع هو لشروط مماثلة فشابه الدَّخِيْل في القوم. والدَّخِيْل حرف لا يلتزم بذاته وإنما يلتزم بنظيره وهو واقع بين حرفين ملتزمين من حروف القافية، فإذا التزمه الشاعر فهو لزوم ما لا يلزم كما فعل أبو العلاء المعري، ومثال الدَّخِيْل قول الشاعر:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتبًا ⇧⇧⇧ صديقَك لم تلقَ الذي لا تعَاْتِبُهْ
فعشْ واحدًا أَوْ صلْ أخاك فإنهُ ⇧⇧⇧ مقارفُ ذنبٍ تارةً ومُجَانِبُهْ
إذا أنت لم تشربْ مرارًا على القَذَى ⇧⇧⇧ ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصْفُوْ مَشَارِبُهْ

وأنت تلاحظ أن الدَّخِيْل جاء في البيت الأول (تاء)، وفي الثاني (نونا)، وفي الثالث (راء).

نتائج تتعلق بحروف القافية

- لابد لكل قافية من روي.
- لابد لكل قافية مطلقة من صلة؛ لأن الصلة تترتب على إشباع القافية المطلقة.
- لابد لهاءِ الصلة المتحركة من خروج، لأن الْخُرُوْج يترتب على إشباع هاء الصلة المتحركة.
- لا تجتمع هاء الصلة الساكنة والْخُرُوْج.
- لا تجتمع القافية المقيدة وحرف الصلة.
- لا يجتمع التَّأْسِيْس والرِّدْف.
- لا يجتمع الدَّخِيْل والرِّدْف.
- لا يفترق التَّأْسِيْس والدَّخِيْل.